حملة «طريق سوريا إلى العدالة»

في حزيران/ يونيو 2020، وبالتزامن مع اليوم الدولي للقضاء على العنف الجنسي في حالات النزاع، أطلقت المنظمات النسوية السورية «بدائل» و«دولتي» و«النساء الآن من أجل التنمية» و«شبكة الصحفيات السوريات»، بالإضافة إلى «حملة من أجل سوريا»، حملة «**طريق سوريا إلى العدالة**».

تدعو هذه الحملة إلى زيادة فرص الوصول القانوني إلى العدالة للناجيات والناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي الذي ارتكب خلال السنوات العشرة الماضية في سوريا في مراكز الاعتقال، وخاصة للناجيات اللواتي يواجهن عوائق تحول دون وصولهن إلى العدالة.

معارك الناجيات/ين من أجل العدالة تتخطى قاعة المحكمة لتدخل كل بيت وشارع في سوريا، وإن لم تحصل كل ناجية وناجٍ على الرعاية والاحترام والدعم الذي يحتاجونه/ تحتجنه ستبقى العدالة قاصرة أمام الجرائم الدولية التي تمر دون حساب.

تعمل الحملة على إنتاج محتوى يساهم في تعزيز وصول الناجين/ الناجيات من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي إلى العدالة، ورواية تجاربهن/م وقصصهن والتحديات التي تواجههن/هم.

ولذلك عملت شبكة الصحفيات السوريات على إنتاج هذه السلسلة من المدونات المكتوبة من ناجيات من العنف القائم على النوع الاجتماعي (خلال الاعتقال)، و/أو الخبيرات في هذا المجال وغيرهن من المهتمات بمسارات العدالة والمساءلة في سوريا.

Syrian Road To Justice طريق سوريا إلى العدالة

شبكة الصحفيات السوريات
Syrian Female Journalists Network

بيان ريحان

عندما يتحول الكفّ عن العنف إلى مكرمة

«لن نغتصبكن، مو أنتو بتقولو علينا نحنا منغتصب النسوان بالسجن، مالح نغتصبكن و لح نورجيكن إنه نحنا أحسن من الجيش الكر تبعكن يلي بتقولو عليه حر».

بهذه المقولة استهل المحقق أولى جلسات التحقيق معي، في الطابق السادس من فرع كفرسوسة (215).

أخذ المحقق (يطمئنني) أن شيئاً لن يحدث إن اعترفت وأجبت عن كل أسئلته. ومع حزمة الأسئلة الأولى اكتشف المحقق أنني أكذب في بعض المعلومات، وذلك محاولة مني لكسب بعض الوقت في التحقيق، حيث كان يجلس خلف مكتبه يدون أقوالي، وأنا جالسة على كرسي بجانب الحائط، ليبدأ بتوجيه الشتائم لي، فقلت له «ما بسمحلك!»، فأجابني «أنا بورجيكي كيف حتسمحي!»، و بدأ بضربي بالعصا الكهربائية...

استمرت جولة التعذيب الأولى قرابة النصف ساعة و بعد ذلك أخرجني إلى الممر المقابل لغرفة التحقيق معصوبة العينين، ليتمكّن كل من مرّ من عناصر الفرع هناك، من صفعي على وجهي، وتوجيه الشتائم والاستهزاء بي.

سمعتُ أصوات معتقلين/ات آخرين/أخريات معصوبي/ات الأعين يتم التحقيق معهم/نّ أيضاً، حينها أدركت أنني لست المعتقلة الوحيدة في الممر.

بعد ساعة من وقوفي في الممر، عاد المحقق و فك العصبة عن عينيّ و أدخلني إلى غرفة المنامة لضباط الفرع، حيث أعطاني بضعة أوراق و قلم و قال لي «اكتبي كل قصة حياتك و كل شيء عملتيه و إذا ما كتبتِ كل شي أو كذبتِ لخلي كل العساكر يلي هون يغتصبوكِ واحد واحد!».

كان هذا التهديد الأول الذي وجهه لي المحقق، بعد ساعة واحدة فقط من إخباري بأني لن أتعرّض للاغتصاب.

تركني ساعة أخرى، و أنا أكتب في الغرفة، أثناء ذلك كان يدخل العساكر و يهزأون بي و يسألونني «من وين أنتي؟، و ليش يا سنيورة طلعتي مع هدول الإرهابيين؟، و بدكن تسقطو الدولة؟ و الله لنعمل فيكن كذا ... « شتائم كثيرة أحاول دوما أن أنساها.

عاد المحقق إلى الغرفة و قرأ الأوراق التي كتبتها، ليرميها بوجهي حالما انتهى من القراءة قائلاً: «بدك تكتبي كل شي من لما انقبرتِ و طلعتِ مع هالإرهابيين، و هالمرة إذا بتعلكي و بتحكي حكي فاضي من غير معلومات لخليهن يغتصبوك»، نادى للعسكري الذي كان مستلقياً على أحد الأسرة و قال له: «حضر حالك اليوم جايتك رزقة»، ونظرا إليّ آخذين بالضحك.

تسارعت نبضات قلبي، وازداد خوفي، وأصابعي ترتجف. حاولت ضبط أعصابي كي لا أخطئ أو أقول معلومة قد تتسبب باعتقال أحدٍ غيري، فالساعات الأولى من الاعتقال هي الأهم.
أثناء تواجدي في الغرفة دخل شابان ضابطان من الأمن، و بدآ يتحدثان معي و قدما لي فنجان من القهوة و قالا لي: «ساعدينا لنحميكِ قولي كل شي بتعرفيه، و نحنا منحميكِ من المحقق وما منخليه يقرب عليكِ، أنتِ بنت عالم و ناس و بتبهدلي اذا ضليتي اليوم بالسجن، لهيك قولي كل شي و بتطلعي اليوم و ما حدا بيدرى شو صار معك»

خرج الضابطان ليدخل المحقق ويعيدني لغرفة التحقيق، اكتشفت لعبتهم مبكراً وطريقة المحقق الذي يهدد و المحقق الذي يدّعي أنه نصير لي، مستفيدةً من قراءتي السابقة لقصص معتقلين/ات سابقين/ات في السجون السورية. عدت للغرفة و كان هناك محققان يتناوبان على التحقيق معي، أحدهم يهدد بالضرب وينهال بالشتائم، والآخر يدّعي خوفه علي، و ينصحني بالاعتراف!.

تم اعتقالي مع شخصين آخرين، صديقتي، والتي كانت أصغر مني حجماً فلذلك كان يقول لي المحقق قبل كل جلسة تحقيق «أنتي بتتحملي أكتر من رفيقتك»، و يبدأ بضربي و تعذيبي و إهانتي، الشخص الآخر كان شاباً من مدينتي، فكان المحقق يحضره أثناء استجوابي ليقوم بضربه وإهانته أمامي، ومن ثم يضربني أمامه «ليكسره و يضغط عليه».

لم يكن الضرب يؤلمني بمقدار الإهانات والشتائم، أو التحرش اللفظي والتهديد الذي تعرضت له. لينتهي اليوم الأول بمناداة المحقق للسجان الذي اصطحبني إلى الزنزانة حيث وجدت سبع معتقلات من محافظات سورية مختلفة وقد نُسِبَت لكلٍّ منهن تهمة.

في الليلة الأولى، وبعد إطفاء الأضواء عند الساعة الحادية عشر، (وهو ما عرفته أثناء خروجنا للحمامات مدة دقيقتين، لأسترق النظر لساعة يد السجان)، اتخذت كل معتقلة بيننا مكاناً للنوم في غرفةٍ فارغةٍ من كل شيء ما عدا بعض البطانيات التي حصلت عليها المعتقلات الأقدم، ليطل السجان من النافذة صارخاً بنا لننام ... لا يريد أن يسمع صوتا يعكر مزاجه!

لم يمض من الوقت إلا قليلاً عندما جاؤوا بمعتقلٍ شاب ووضعوه أمام غرفة المعتقلات، وبدؤوا بتعذيبه وضربه وإهانته و شتم نساء من عائلته و تهديده بهن... لقد كانت كل الشتائم تهدد النساء وتحوي مصطلحاتٍ جنسية شديدة البذاءة... أرتجف عندما أذكرها!

عذب المحقق المعتقل الشاب ثم صعقه بالكهرباء، ففاحت رائحة اللحم البشري المحروق في الغرفة وبدأت تتلاشى صرخات المعتقل حيث أغمي عليه و بدأ السجانون بسكب الماء عليه ليستيقظ.

كلنا نبكي في الزنزانة، دون أن ننبس ببنت شفة، فنمسك بأيدي بعضنا البعض، و نخاف أكثر. جلسة التعذيب تلك كانت تتكرر بشكل يومي، قالت لي المعتقلة التي تعرفت عليها: «كل يوم يأتون بمعتقلٍ (رجل) ليعذبوه أمام زنزانتنا، ليكسروه و يخيفونا أكثر»

سألتها، كم مضى على بقائك هنا؟ أجابت: «خمسون يوما»، فتابعت سؤالي: «ماذا فعلتِ عندما حان موعد الدورة الشهرية؟»، فأخبرتني: أثناء الدورة الشهرية يجلب لك السجان بعض القطن والشاش الطبي ولا يسمح لك بدخول الحمام متى أردتِ، وحتى إن تألمتِ لا يوجد لا دواء ولا حبة مسكن، إلا إن استعطفتِ السجان ليعطيكِ إحدى تلك الحبوب المسكّنة التي تنتجها معامل الدفاع و التي لا تحتوي على مادة فعّالة جيدة». في اليوم التالي عدت للتحقيق، كانت الساعة الثامنة صباحاً، و بدأ

المحقق جولة التحقيق بأسئلةٍ أكثر تفصيلية، ليعاود ضربي كلما أجبته إجابةً لا تعجبه. في إحدى المرات قال لي: «هون كانت قبلك قاعدة م.غ. (إحدى الناشطات المعروفات) و عاملناها بكل احترام و بعد ما طلعت من عنا صارت تكذب و تألف حكي أنتو ما بيلبقلكن غير الضرب... أنتو بدكن ترباية أهلكن ما ربوكن و نحنا حنربيكن».. في كل جولة كان ينوّع الإهانات، فمرةً يهينني بشخصي، ومرةً بأهل مدينتي، وأخرى بالمحجبات كوني محجبة، وغيرها بإهانة عائلتي، دون أن يغفل عن استخدام الشتائم الجنسية.

بعد خمسة عشر يوماً في المعتقل، جاؤوا بفتاتين صغيرتين، الأولى في الخامسة عشر، والثانية لم تتجاوز السابعة عشر من العمر، وقد تم تحويلهما من فرعٍ أمنيٍّ آخر، فأدخلهما مدير السجن إلى غرفة التفتيش حيث يقوم بتفتيش كل المعتقلين/ات، حينها أخذ يسخر من أعضاء الفتاة الصغيرة (الثديين والمؤخرة) وقال لها كلمات مهينة، لتدخل الزنزانة مرتجفةً، ونحن نحاول تهدئتها وطمأنتها، حتى تلك الفتاة لم تسلم من تحرشهم الجنسي!.

بعد ثلاثين يوم خرجتُ من المعتقل بصفقة تفاوض مع الجيش الحر، تاركة ورائي آلاف المعتقلات اللواتي لم تدرج أسماؤهن بالصفقة.
إلى اليوم عندما أتذكر تلك التفاصيل التي عشتها في السجن، لا أتألم للضرب الذي تعرضت له بمقدار تألمي للشتائم و الإهانة، و تستفزني أكثر (مكرمة) المحقق التي كان يلوح بها بكل جولة تحقيق: «لن يغتصبوني إذا قلت لهم كل شيء!».

فقط في سجن الأسد يتحول الكف عن ارتكاب الجرائم إلى مكرمة، والأسوأ عند خروجك من المعتقل ستواجهين مجتمعاً وقد تعرض مثلك لظلم الأسد، ولكنه سيحاكمك مرةً أخرى لجريمةٍ قد تكون وقعت بحقك ليقيم عليك حدوده المجتمعية مكملاً مالم يكمله سجانك.